(١)

أدب الحوار والتعبير عن الرأي

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين، **وبعد:**

فقد خلق الله (عز وجل) الناس مختلفين في ألوانهم، وألسنتهم، وطباعهم، ومعارفهم، وذلك من آيات الله تعالى القائل: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}، وهذا التنوع والاختلاف سنة من سنن الله تعالى في خلقه، حيث يقول سبحانه: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}.

ولقد دعانا ديننا الحنيف إلى قبول هذا التنوع، وجعله وسيلة للتعارف والتقارب، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الحوار الهادف الذي يقرِّبُ وجهات النظر، ويخاطب العقول بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول سبحانه: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، فالأمم التي تؤمن بحق الاختلاف، وقبول الآخر، هي أكثر الأمم أمنًا، واستقرارًا، وتقدمًا، والأمم التي وقعت في فخ الاحتراب، والاقتتال الطائفي، أو المذهبي، دخلت في دوائر فوضى ودمار عصفت بكيانها، ومزقت أوصالها.

والمتتبع لسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه أسس للحوار الذي يحترم كل الناس حتى المخالفين في العقيدة، فحين قال عتبة بن أبي ربيعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا ابن أخي، إن كنت تريد من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا

حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيًا تراه، لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ... كل ذلك ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينصت له، ولم يقاطعه حتى انتهى، ثم قال له بأدب وتكريم: (أَو قَدْ فَرَغْتَ يا أَبَا الوَلِيدِ؟)، قال: نعم، قال: (فَاسْمَعْ مِنِّي)، فقرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) من بداية سورة (فُصِّلت) حتى بلغ قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}، فاستمع له عتبة، ثم رجع إلى قومه قائلا: إني سمعتُ قولا، والله ما سمعت مثله قَطُّ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونَنّ لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيمٌ...

إن أدب الحوار والرقي في مخاطبة الناس أمر قد أسسه القرآن الكريم، وأمر الله تعالى به نبيه (صلى الله عليه وسلم) حتى مع أشد مخالفيه، ومن أروع صور الإنصاف قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}، فلم يقل: نحن على هدى، وأنتم في ضلال مبين، مع وضوح ذلك؛ وإنما ترك الاستنتاج لأصحاب العقول السليمة المنصفة، ومن ذلك قول سيدنا حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأبي سفيان بن الحارث حين هجا النبي (صلى الله عليه وسلم):

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * * وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ * * فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرضِي * * لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقَاءُ

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد ضمن الإسلام لجميع الناس حرية الرأي الهادف، الذي يجمع ولا يفرِّق، يبني ولا يهدم، ولم يضمن لهم حرية الرأي فحسب؛ بل ضمن لهم ما هو أبعد من ذلك، فقد ضمن لهم حرية المعتقد، ولا أدلَّ على ذلك من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يجبر أحدًا على الدخول في الإسلام، يقول تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.

على أننا نؤكد أن حق الإنسان في التعبير عن رأيه مكفول، دون المساس بثوابت الأديان، وحريات الآخرين، ومقدساتهم، بشرط أن يكون هذا الرأي منضبطًا بضوابط القيم، والأخلاق، والإنسانية، ويراعي شعور الآخرين، وليس فحشًا ولا سبابًا، وقد قالوا: أنت حُرّ ما لم تَضُرّ.

وقد أمرنا الدين الإسلامي الحنيف أن نخاطب الناس جميعًا بالقول الطيب الذي يؤلف بين النفوس، يقول تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، ونهانا أن نتعرض لمعتقدات الآخرين بسوء، فقال تعالى: {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

اللهم احفظ مصر من كل مكروه ،
وهيئ لنا من أمرنا رشدًا ، ووفقنا لما تحب وترضى.